

المصاحف

١٣١٥

في يوم السبت ٢٨ ربيع الأول سنة ١٣١٧ الموافق ١٤ أغسطس (آب) سنة ١٨٩٩

﴿ الجنسية والدين الاسلامي ﴾

البداءة في النوع الانساني سابقة على الحضارة ولكن الانسان مدني بالطبع ميال للاجتماع بالفطرة وقد كان مبدأ اجتماعه تتكون الشعوب والقبائل بالمصيبة النسبية فكانت هي مناط الجنسية ثم صعد النوع في سلم الارتقاء الاجتماعي فالتسمت دائرة جنسيته فكان مناطها اللغة وكما كانت تتألب القبيلة التي يجمعها نسب واحد وتزحف لقتال قبيلة أخرى من أهل لغتها الأقل عدوان يقع بين أفراد القبيلتين صارت تتألب القبائل الكثيرة التي يرتبط بعضها ببعض برابطة اللغة ويلتحم بلحمها على قتال الاجناس التي تجمعها لغة أخرى غير لغتهم وبهذه الجنسية تكونت الامم فكان منها العربي والتركي والفارسي والهندي والصيني الى غير ذلك

ما كانت عناية الله تعالى بالانسان لتقف به عند هذا الحد من الاجتماع والتمدن بل أعطاه سلماً ليعرج عليه الى الأفق الأعلى من المدنية وسعة دائرة الاجتماع وهو المبرر عنه بناموس الارتقاء العام ولما استمد بمقتضى هذا الناموس لامتزاج بعض اجناسه ببعض ومؤاخاة العربي للمعجمي والرومي

للفارسي منحه رابطة أعلى من جميع روابط الاجتماع - رابطة تضم متفرق
 العناصر واشتات الاجناس وتصوغها فتجعلها عنصراً واحداً - رابطة يمكن
 لكافة البشر ان يكونوا بها امة واحدة واخواناً على سررمة ابلين . هذه
 الرابطة هي الديانة الاسلامية التي بني اساسها على الوحدة في الاعتقاد
 والتهذيب والاحكام القضائية والمدنية - التي يخاطب قرآنها البشر كافة بقوله
 (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم
 وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) ويخاطب اهل الكتاب خاصة
 بقوله (يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الله ولا
 نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله فان تولوا فقولوا
 اشهدوا باننا مسلمون)

ما كان ليعزب عن شارع هذا الدين - وهو عالم الغيب والشهادة - ان
 الناس لا يعنقونه مرة واحدة وان هذا موجب للاختلاف والتفريق وهو
 انما وضع للوافق والتوحيد ولذلك جعل الرابطة ذات طرفين يمكن ان
 يضم جميع البشر على اختلاف مذاهبهم وعتائدهم وهو كونهم يحكمون
 بشرية واحدة عادلة تساوي بين مؤمنهم وكافرهم وسليكمهم وصمواوكمهم
 وغنيهم وفقيرهم وقويهم وضعيفهم وهذا الطرف هو طرف الجامعة الدنيوية
 ويمكن لاهله ان يعملوا لاجراز سعادة الدنيا بالاشترك حتى يصلوا الى الغاية
 التي في استمدادهم الوصول اليها والطرف الثاني هو طرف الجامعة الروحية
 الاخروية وهو يتراف بين الآخذين بهذا الدين تأليفاً روحياً زائداً عن ذلك
 التأليف الجماني - تأليفاً جرئومته وحدة المعتقد والايان بالله وملائكته وكتبه
 ورسله واليوم الآخر وغداؤه الاخلاق الفاضلة والمبادات الكاملة وثمرته

الاخاء الصحيح وجعل المؤمنين في تضافرهم وتعاونهم على البر والتقوى
 كالبنيان يشد بعضه بعضاً وكالجسم الواحد اذا اشتكى له عضو تداعى له سائر الجسد
 لا تحقرن امر الرابطة الاولى رابطة الشريعة العادلة فهي على كونها اهم
 من رابطة اللغة وأشمل قد كانت أقوى وأكفل . كان ابناء اللغة الواحدة
 والدين الواحد يفرون من هجير ظلم قومهم المشاركين لهم في جنسيتهم
 ويستظلون بظل العلم الاسلامي الظليل حتى ان الروم في بلاد الشام لما رأوا
 في اثناء الفتوح وفاء المسلمين لهم وحسن سيرتهم فيهم صاروا عوناً لهم على قومهم
 وعيوناً للمسلمين عليهم يتجسسون لهم الاخبار ويوقفونهم على الاسرار . جاء في
 رسالة الجزية التي نشرت في المجلد الاول من المنار ان ابا عبيدة (رضي الله عنه) لما
 اراد ان يشخص من حمص الى دمشق لتأب الروم على المسلمين وجمعهم لهم
 امر حبيب بن سلمة ان يرد على القوم ما كان اخذه المسلمون منهم من الجزية
 فرد عليهم ذلك وأفهمهم بان الامير ابا عبيدة يقول ما كان لنا ان نأخذ اموالكم
 ولا نمنع بلادكم (اي ان اخذ المال هو بازاء الحماية وقد عجزوا عنها في ذلك
 الوقت لاضطرارهم الى الخروج من البلد فردوا عليهم المال) فقال اهل البلد
 (ردكم الله ايها ولعن الذين كانوا يملكوننا من الروم ولكن والله لو كانوا هم
 ما ردوا علينا بل غصبونا وأخذوا مع هذا ما قدروا عليه من اموالنا) . هذه
 الرابطة مناط للجنسية اتخذه الاوريون احبولة لصيد الامم والشعوب التي
 ثقلت عليها وطأة ظلم حكامها فنجحوا مع بعدهم عن العدل الصحيح والمساواة
 اللذين كان عليهم المسلمون عندهم كانوا متمسكين بدينهم وحاكمين بشريعتهم .
 ولكن هذه الرابطة مما كانت وثيقة وقوية فهي لن تبلغ مبلغ رابطة وحدة
 الاعتقاد بعروة الاسلام الوثقى التي لا انفصام لها ولذلك ترى المسلمين

يتملكون من سلطة الاجنبي عن دينهم وان كان عادلا ويودون الفرار من ظل علمه ولو لفجهم مثل لميب جهنم من ظلم المتحددين معهم في الاعتقاد والمذهب . وبهذا لم يكن للمسلمين جنسية في غير دينهم ولا يخضعون باختيارهم سراً وجبراً الا للحكومة شوروية تحكمهم بشريعتهم وتقيم حدودها العادلة فيهم مقتنية آثار خلفائهم الراشدين بحيث يكون لديها الخليفة والصلوك في الحق سواء . لو اهدت لهذا الامر اية حكومة اسلامية ووفقت للميل به مع الحكمة من غير زيغ ولا زلل لا يمكنها ان تجمع كلمة المسلمين في مدة قصيرة . بل لو ان دواة حكيمة كانت اكثر اعتقت الاسلام واقامت شريعته لتسنى لها امتلاك باقي الشرق وافريقيا كلها

عرف الاوربيون من المسلمين ما ذكرنا فاتنعموا بمعرفتهم . اجتهدوا في ازاحة القابضين على ازمة الحكومات الاسلامية عن صراط شريعتهم وادخلوا عليهم القوانين الوضعية فنغرت قلوب الرعايا منهم وكرهت سلطتهم حتى صارت تخرج عليهم . واجتهدوا في حل عروة الرابطة الدينية من نفوس المسلمين باسم المدنية الجديدة التي تسمى التمسك بالدين تعصبا وتمثل هذا التعصب مثال مشوه قبيح ينفث السموم في الارواح فيقتلها ويعترض دون شمس العلوم والمعارف فيحجب انوارها (١) وما كان الاوربيون ليتكفروا من خلافة المسلمين بانفسهم فيجعلوا اسم التمسك بالدين بينهم سبة وعارا ويتخذوا هذا ذريعة لتقصم عروة الدين وتوهين رابطة العامة ولكنهم تمكنوا من فتنة بعض المسلمين الجغرافيين (٢) بمدنيتهم واتخذوهم

(١) قد شرحنا حقيقة هذه المسئلة في مقالات نشرت في أعداد السنة الاولى لامنار فلتراجع

(٢) أعني بالمسلمين الجغرافيين الذين يعدون في اصطلاح الجغرافيا مسلمين وهم كل

أعوانا لهم على كل ما يقصدونه من المسلمين . يردد المصريون الشكوى مع
الكوجع والتأم من المستر دنلوب سكرتير المعارف العام القابض على أزمة
المدارس كلها حيث يجتهد في محو معالم اللغة العربية وطمس آثار الديانة
الاسلامية من المدارس وجعل رسومها موائيل، ودوارس ولا لوم على من
يخدم دولته وملته بالصدق والنشاط وانما اللوم والتثريب بل اللعن والتأنيب
على الذين رضوا بان يكونوا معاول في يديه لهدم بناء جامعتهم الدينية
والذوية وهم يعلمون ان هدمها يعدم جنسيتهم بالكلية . وفي هذا محو الملة والامة
من لوح الوجود . هؤلاء هم الذين يجب ان يحفظ التاريخ ذكرهم مخفوفاً بالخزي
والمقت ملوثاً بتقدير الحيانة والنش حيث يحفظ للمستر دنلوب في خدمة ملته اسماً
سماوي ريفعه في صدق وطنيته مكاناً علياً . ويوجد في غير مصر كثير من هؤلاء المارقين
فلى كل مسلم حقيقي ان يسعى جهده في توثيق الرابطة الاسلامية الروحية
بين كل من ينتسب للاسلام في مشارق الارض ومغاربها بان يعرف أهل
كل بلاد تاريخ أهل البلاد الاخرى وشؤونها النابرة والحاضرة وان يكون
لهم طرق للمعارف وأمثلة هذه الطرق الجرائد والاجتماع في موقف الحجيج العام ومما
يقضي بالاسف والالاف ان الحجاج بعد ما يرجعون من أداء التريضة يقضون
أعمارهم في الحديث عن سفر الحج وما لاقوه وجرى لهم فيه ولا نسمع منهم
خبيراً عن أحوال اخوانهم من أهل الاقطار الاخرى الذين ضمتمهم وايامهم

من ينتسب للاسلام ولو اسما وقد سنحت لي هذه الكلمة في اثناء خطاب كنت ألقته في
جمعية مكارم الاخلاق في القاهرة فقلت يقال ان المسلمين ثلاثمائة مليون او يزيدون
وهؤلاء هم المسلمون الجغرافيون أما المسلمون الحقيقيون الذين يفهمون الاسلام حق
فهمه ويعملون به فهم ثلثون . . .

(عرفات) حتى كأنهم لم يشهدوا ذلك الموقف الشريف الذي لم يسم به هذا الاسم « عرفات » الا لانه موقف التعارف بين الشعوب والقبائل « واحسرتاه فقدنا كل شيء حتى معاني أركان ديننا الكبرى وأسرارها وفوائدها ، ومن الضروري في هذا ان يكون من أمة يدرسون اللغات التي ينطق بها اخواننا في كل قطر . أليس من البلاء ان لغة أوردو التي ينطق بها ثمانون مليوناً من المسلمين في الهند لا يوجد تركي في الروملي أو الاناضول ولا عربي في السراق أو سوريا أو مصر أو الغرب يتعلمها ليتعرف بها شؤون أولئك الملايين من اخوانه ؟ ونرى الجم الغفير من دعاة النصرانية يتعلمون هذه اللغة وسائر لغات العالم لاجل دعوة أهلها الى دينهم

متى عرف بعضنا تاريخ بعض وتعارفنا بما يمكن من طرق التعارف وتبادلنا الافكار بالجرائد يتسنى لنا حينئذ ان نتفق على وحدة التربية والتعليم وكال هذه الوحدة انما يكون بتعميم اللغة العربية وعلى وحدة الاشتراك في المشروعات والاعمال النافعة وبهذين الوجدتين تتكون (الجامعة الاسلامية) التي أكثر من ذكرها الكتاب وبحوثها فيها من وجوه كثيرة غير محررة فتشاربت أقوالهم وناقضت آراؤهم

قلنا ان الجامعة الاسلامية لها طرفان أحدهما يضم المعتقدين بالدين الاسلامي ويربطهم برابطة الاخوة الايمانية حتى يكونوا جسماً واحداً وقد انحلت هذه الرابطة ولكنها مازالت ولن تزول والطريق الى توثيقها وشدها هو ما قرأت آنفاً . وثانيهما يربط المسلم وغيره من أرباب الملل برابطة الشريعة العادلة التي يحكمون بها جميعاً بالمساواة وقد طرأ على هذه ما حل عقدها في بعض الحكومات وما أزالها في حكومات أخرى . وعلى كل حال

ينبغي للمسلمين في كل قطر ان يسعوا بالاشتراك مع مواطنيهم الذين يحكمون معهم بحكومة واحدة الى كل ما يعود على وطنهم وبلادهم بال عمران و يفجر فيها ينابيع الثروة - هذا ما يجب على الامة الاسلامية في احياء جنسيتها بتقوية الرابطتين بقدر الامكان واما الحكومات الاسلامية وفي مقدمتها الدولة العلية فيجب عليها ان تساعد رعاياها على هذه الاعمال وتسهل لهم سبلها وان تجتهد بتقوية نفسها بالاصلاحات الداخلية والاستعدادات الحربية ليتمكنها حماية الحوزة والدفاع عن البيضة وارى من الضروري لصيانة الدولة العلية من طمع الظالمين ان يسلك مولانا السلطان الاعظم (أيده الله تعالى بروح منه) في جميع الولايات الطريقة العسكرية التي سلكها في طرابلس الغرب وهو جعل كل فرد من الافراد مستعداً للقتال اذا دخل العدو بلاده كما هو الواجب في الدين الاسلامي وان لا يحرم ولاية من الولايات من فرسان الأليات الحميدية . فان استعداد الدولة نفسها مهما بلغ لا يمكن ان تقاوم به اوربا المتحدة عليها باطنا وان اختلف دولها ظاهراً واما استعداد الرعايا للمساعدة كل قوة اجنبية تدخل بلادهم حتى القضاء فهو يمنعه من كل عداة . هذا هو رأينا في تكوين الجامعة الاسلامية بالطرق الممكنة ولا سبيل لدول أوربا الى الاعتراض على شيء من ذلك . أما الاصلاحات الداخلية . فأهمها جعل الحكومة شوروية . والعدل والمساواة بين الرعية . وانتقاء جميع الموظفين . من الاكفاء المستعدين . وقد شرحنا رأينا في الاصلاح في مقالات سابقة فلا نعيد (ومن يتق الله) مسترشداً بسننه الكونية وشريعته السماوية (فهو حسبه) وكافية ما يهمله . ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدراً